

العاشر يتابع في

وقد أحسن الأديب العراقي الدكتور إبراهيم العاتي عندما أطلق على آخر نتاجاته الأدبية في مجال الأدب الحسيني اسم "الظاهرة الحسينية في الشعر العربي"، حيث وجد صاحب ديوان (تأملات في كتاب البحر) أنَّ "المثل العليا التي ناصر من أجلها الإمام الحسين(ع) بما فيه صلاح الناس كل الناس، ظاهرة في الشعر العربي القديم والوسطى والحديث على لسان الشاعر الناظم باللغة العربية غير مقتصرة على الموالى لأهل البيت(ع)، بل تعدَّه إلى غير المسلم، وغير منحصر بالعراق الأرض التي استشهد فيها الإمام الحسين(ع) عام 61هـ، ولذلك استحق النظم الحسيني على لسان المسلم وغير المسلم، العراقي وغير العراقي، أن يكون ظاهرة أدبية لم تسبقها ظاهرة في مجال الآداب العالمية، مما من أدب منثور أو منظوم لشعوب الكرة الأرضية إلا والقضية الحسينية حاضرة فيه، ومن يطلع على كتابه الصادر حديثاً عن دار الأمير للثقافة والعلوم ببيروت في 192 صفحة من القطع الوزيري يلاحظ هذه الظاهرة، بل ومن يطلع على باب الأدب المنظوم من دائرة المعارف الحسينية للمحقق الفقيه الدكتور محمد صادق الكرباوي، يؤمن إيماناً راسخاً أن الإمام الحسين(ع) دخل في ضمير كل أمة ومجتمع على وجه الأرض قد يهمها وحاضرها، فعدد الأجزاء المطبوعة من الموسوعة الحسينية المتعلقة بالنظم الحسيني العربي فقط منذ القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بلغ 21 مجلداً لشعراء من أقطار الأرض، وأضاعافها من المجلدات المخطوطية لشعراء القرنين الرابع عشر والخامس عشر وهي في طور التدقيق والتحقيق، ناهيك عن الشعر الحسيني باللغات الأخرى وبخاصة الفارسية والأردية والپشتونية والتركية والإنكليزية التي صدر منها حتى الآن أكثر من عشر أجزاء، ولهذا لم يحد العاتي عن الحقيقة فيما اتخذه من عنوان لدراساته الأدبية، والمؤلف هو الأستاذ الجامعي وعميد الدراسات العليا صاحب المؤلفات الفلسفية والأدبية، رصد بأسلوب أكاديمي علمي (الظاهرة الحسينية في الشعر العربي) من خلال مفاصل أدبية زمانية ثلاثة أطلق عليها: "الشعر الحسيني في الأدب العربي القديم"، "ثورة الحسين(ع) في الشعر الإحيائي"، و"ثورة الحسين(ع) في الشعر العربي الحديث"، وتوسيع في العنوان الثالث إلى متابعة الظاهرة الحسينية في شعر "الجواهري وثورة العشرين"، و"الحسين(ع) في فضاء الشعر المعاصر"، و"شعراء الحداثة والثورة الحسينية"، كما توغل في فصل مستقل ضمن المرحلة الحديثة في بيان موقع "الحسين(ع)" وكرباء في شعر نزار قباني"، ولما كان للنهمة الحسينية حضورها الأدبي في المسرح الشعري، فإنَّ العاتي أفرد في الفصل الخامس عنواناً مستقلاً عن "ثورة الحسين(ع) في المسرح الشعري العربي" ولعلَّ النموذج البارز هو "عبد الرحمن الشرقاوي ومسرحية ثار الله" المحظورة حتى اليوم من تمثيلها على مسارح مصر للصراحة التي تملَّكتها الشرقاوي في وضع النقاط على الحروف عبر تشخيص الطالم وشخوصه وممارساته المناقية للخلق الإسلامي

والعرف الإنساني وتخطيه حدود العدوانية بالضد من أهل البيت(ع) إلى أبعد مدياً لها. لاحظ العاتي أنَّ الطاهرة لم تقتصر على الشعراء الموالين لأهل البيت، ولن ينفي ذلك خاصة بشعراء العراق الذي تشرف بمرقد الإمام الحسين(ع)، بل إنَّ الحدود الجغرافية والمذهبية والعرقية والدينية مع الطاهرة الحسينية معروفة، وعلى إيقانٍَ: (شعراء الحسين كانوا من مختلف المذاهب الإسلامية بل ومن أديان أخرى، لأنَّ مأساة كربلاء تلامس ضمير كل إنسان منصف)، والضمير الإنساني الذي قد يصيبه الصدأ بحاجة إلى صقله بين فترة وأخرى، والنهاية الحسينية لها جدواها في هذا المقام، وقد وجد العاتي: (إن دراسة الشعر الحسيني تكشف عن كنوز من القيم الخُلُقية السامية التي تحتاج إليها شعوبنا لإنصافها، والاعتبار بما جرى لرموزها وقادتها المصلحين).

من هنا تمتاز خصائص الشعر الحسيني كما قرأها العاتي بالموضوعية أولاً: (فواقعة الطف تتجلى فيها كل خصائص الموضوع الشعري المفعم بالأحاسيس والأفكار والصور الملهمة)، وتمتاز بالذاتية ثانياً: (فأياً كان الموضوع الذي يتناوله الشاعر فإنه لابد أن يضفي عليه من ذاته وروحه الشيء الكثير بحيث يظهر العمل الفني وكأنه شيء جديد فيه شبه من الموضوع الأصلي)، وتمتاز بالإيمان بالمبادئ والقيم العليا ثالثاً: (ولذا نجد أنـــ كافة شعراء الطف يستخلصون من مأساة كربلاء موقف أبي الشهداء وأنصاره مبادئ الإسلام الأصيلة والقيم الخلقية السامية، كالبطولة والفروسية والحرية والتضحية والدفاع والعزيمة والإباء وغيرها).

ونطلق المؤلف من باب "الشعر الحسيني في الأدب العربي القديم" في السياحة الأدبية النظمية، دراسة وتحليلًا، نحو فضاءات الشعراء: الكُمَيْت بن زيد الأسدسي (60-126هـ)، السيد الحِمْيَرِي إسماعيل بن محمد (105-173هـ)، الإمام الشافعي محمد بن إدريس (150-204هـ)، أبو تمام الطائي حبيب بن أوس (190-232هـ)، ديك الجن الحمصي عبد السلام بن رغبان (161-235هـ)، دُعَبْلِل بن علي الخزاعي (148-246هـ)، عبد الله بن المعتز العباسي (247-296هـ)، أبو فراس الحمداني الحارث بن سعيد التغلبي الوائلي (320-357هـ)، الصاحب بن عباد إسماعيل بن عباد بن العباس (326-385هـ)، الشريف الرضي محمد بن الحسين (359-406هـ)، وأخيراً أبو العلاء المعربي أحمد بن عبد الله التنوخي (363-449هـ)، ويقرر العاتي عند تناوله لشعر المعربي: (إنَّ الشهيد يُفْنِي جسداً) لكن قضيته تكتسب صفة الخلود وتطبع الزمن بطابعها المضج بالدماء)، وهذه الحقيقة يؤكدها شعراء الطاهرة الحسينية على مر الأزمان، لأن كلمات الشاعر الحسيني كما يؤمن العاتي: (تنطق أو توحى بايقاعات الزمان المتداول، هذا الدم القاني الذي يضيء الطريق للبشرية مع انبلاج كل فجر فيصيغ الأفق الواسع بحمرة الشفق، ويبقى مستمراً ليعرض ظالمته على الباري جلَّت قدرته يوم الحساب).

وَجْهَهُ الْمُؤْلِفُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي الَّذِي بحثَ فِيهِ "ثُورَةُ الْحَسِينِ(ع)" فِي الشِّعْرِ الْإِحْيَائِيِّ وَهِيَ فَتْرَةُ الشِّعْرِ الْمُجَدِّدِينَ: (الَّذِينَ عَمِلُوا مِنْذُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ عَلَى إِحْيَا الْتَّقَالِيدِ الْفَنِيَّةِ وَالْقِيمِ الْجَمَالِيَّةِ لِلشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي عَصُورَةِ الْزَاهِرَةِ، وَخُصُوصًاً الشِّعْرُ فِي الْعَصَرِ الْعَبَاسِيِّ وَالْأَنْدَلُسِيِّ، مُتَجَاوِزِينَ بِذَلِكَ فَتْرَةَ الْخُمُولِ

ولا يخفى أن الشاعر محمد مهدي الجواهري (1900- 1997م) العراقي النجفي المولد، فاق أقرانه الشعراء الناطقين بالعربية داخل العراق وخارجها، وهو شاعر غير مقلٍّ، بيد أنَّ رائعته الحسينية (آمنت بالحسين) التي نظمها وهو في العقد الخامس من عمره وألقاها في كربلاء المقدسة عام 1947م أخذت شهرتها في الآفاق وكاد الناس يطنون أنها يتيمة الحسينيات من شعره، لكن العاتي يهدينا إلى قصيدة ثانية للجواهري بعنوان (روعة التاريخ .. عاشوراء) نظمها وهو في العقد الأربعين من عمره سبقت المشهورة.

ولمكانة الشاعر وقوه نظمه الحسيني بدأ الفصل الثالث به ضمن عنوان "ثورة الحسين(ع)" في الشعر العربي الحديث"، فيما تناول المؤلف بعد الجواهري "الحسين(ع)" في فضاء الشعر المعاصر"، معرجاً على "شعراء الحداثة والثورة الحسينية" بدءاً بالشاعر العراقي بدر شاكر السياب (1926-1964م)، وانتهاءً بالشاعر الفلسطيني أحمد خضر دحبور المولود بحيفا عام 1948م، مروراً بالشاعر السوري أدونيس علي أحمد سعيد المولود بمدينة جبلة سنة 1930م، والشاعر البحريني قاسم حداد المولود سنة 1948م، والشاعر مطر عبد المحيد النوايب المولود في بغداد عام 1934م، حيث تابع المؤلف في هذا الفصل "فلسطين وكربلاء .. جدل الثورة والمؤسسة"، وهنا: (يلتزم الشاعر بالرمز الحسيني ويجعله

مفتاحاً لفهم مجريات الواقع الفلسطيني والعربي المعاصر).

وتلمس العاتي في الفصل الرابع "الحسين(ع)" وكرباء في شعر نزار قباني، نتاجات الشاعر السوري (1923-1998) المشهور لدى جيل الشباب بغزلياته ووجه الحب دون أن يلتفتوا كثيراً إلى تفجّعاته الكربلائية، الأمر الذي حدا بالمؤلف إلى متابعة الشعر الحسيني لدى القباني وتحريك مبادئ النقد والتحليل في تفعيلاته عبر عناوين رئيسة هي: "الرمز الحسيني في شعر نزار قباني"، "أحزان كربلاء والقهر السياسي"، "جراح الحسين ونكسة حزيران (يونيه) 1967م"، "حرب أيلول ووفاة عبد الناصر: أياماً كلها كربلاء"، "في رثاء عميد الأدب العربي: إبني في حمى الحسين"، "شهيد كربلاء وفدائى فلسطين"، وأخيراً "نزار قباني والجنوب المقاوم: يا لا بساً عباءة الحسين وشمس كربلاء"، ويقرر العاتي في نهاية المطاف إنـ"ـ: (نزار قباني من ألمع الشعراء العرب الذين وظفوا الجوانب المضيئة من تراثنا العربي والإسلامي للخروج من دوامة الهزيمة، وإعادة الثقة بالنفس بعد أن أصبحت الشعوب العربية بالإحباط واليأس، وقد تجلّ ذلك في أبهى صوره بعودته الدائمة إلى رمز البطولة والإباء والشمم الذي جسّده الإمام الحسين بن علي(ع) في وفته البطولية يوم كربلاء، والذي كان ملهمًا للثوار قدِيمًا وحديثاً).

ويستقلُّ العاتي بالفصل الخامس للحديث عن "ثورة الحسين(ع)" في المسرح العربي، ومن مشاهير هذا الأدب الرفيع الأديب المصري عبد الرحمن الشرقاوي (1920-1987م)، وتحت عنوان "عبد الرحمن الشرقاوي ومسرحية ثأر اــ"، يحلل المسرحية الشعرية في العناوين الفرعية التالية: (شرف الكلمة)، ((الإصلاح هو الغاية .. الإمام الثائر)، (الغدر والخداعة)، (إمام العدل الاجتماعي)، (درس في الإيثار)، (الحمار الطالم)، (إنتمار الحسين)، (الحسين شهيداً)، وخلاصة ما استوحاه العاتي من مسرحية الشرقاوي أنه: (رغم تلك المأساة تبقى لوعة البطولة هي الساطعة في يوم كربلاء ... إنها تزري باليأس وتبعث على التفاؤل بأنـ"ـ رسالة الشهيد هي المنتصرة في النهاية).

وحتى يقف القارئ على معالم الظاهرة الحسينية متقدلاً من بحر آخر ومن قافية أخرى اختار المؤلف في نهاية الكتاب "منتخبات من روائع الشعر الحسيني" للشعراء: سليمان بن قنة التيمي (126هـ)، أحمد بن محمد بن الحسن الصنوبرى (365هـ)، الناشي الصغير علي بن عبد الله البغدادي (365هـ)، الحسين بن الحجاج (391هـ)، الشريف المرتضى علي بن الحسين (436هـ)، سبط ابن التعاويذى محمد بن سعيد البغدادي (584هـ)، ابن سناء الملك هبة الله بن جعفر المصري السعدي (608هـ)، البيوصيري محمد بن سعيد الصنهاجي (694هـ)، كاظم الأزرى (1211هـ)، عبد الباقي العمري الموصلى (1279هـ)، حيدر الحلبي (1304هـ)، محمد حسن أبو المحاسن (1344هـ)، محمد الحسين كاشف الغطاء (1373هـ)، حسين علي الأعظمي (1375هـ)، عبد القادر رشيد القادري (1382هـ)، محمد علي اليعقوبي (1385هـ)، وأخيراً قصيدة بعنوان "سفر البطولة" من نظم العاتي ختم بها خاتمة كتابه، ويكون بذلك عبر (المنتخبات) قد نشّط الذائقه الأدبية للقارئ وفعــلها، وهو الأديب والشاعر والمؤلف والباحث في الفلسفة، ولمدينة النجف

الأشرف التي ولد بها العاتي في أسرة علمية أدبية سنة 1949م أن تفخر بابنها، فهو علم من أعلام الأدب والفكر والفلسفة، وتشهد بذلك مؤلفاته الراقية: (الزمان في الفكر الإسلامي)، (تصورات العالم في الفكر الإسلامي)، (الإنسان في فلسفة الفارابي)، (آفاق التجديد الإسلامي)، (الرؤى السياسية للإمام علي بن أبي طالب)، (أحمد الصافي النجفي غربة الروح ووهج الإبداع)، و(إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية).